الحضارة الكوردية في بلاد وادي الرافدين قبل الميلاد
(من خلال الاكتشافات والآثار والوثائق التاريخية)

م. صالح امين عزيز
جامعة حلبجة /كلية التربية الاساس

الملخص

يتبيّن من خلال ما تقدّم من الوثائق التاريخية والأثرية في هذا البحث العلمي أن الأمّة الكوردية كانت أمّة حيّة منذ أقدم العصور ،ابتداء من العصور الحجرية القديمة والحديثة إلى فجر نشوء الحضارات قبل الميلاد ، وقبل ظهور الإسلام الحنيف ، وأنّها من الأمم التي سكنت الشرق الأوسط ، في جبال زاطروس وبلاد وادي الرافدين من أعلاها إلى أسفلها ، وأنّها قدّمت للبشرية حضارات أسهمت في تطور حياة الإنسان والحضارة ، وآثارهم في الكهوف والتلال والمخلفات التي تركوها وكذلك في المجمعات السكنية الأولى كلّها تؤيد ذلك.

كما أن ظهور الرموز والأحرف الكوردية وبالأحرى اللغة الكوردية ، ومساهمة علمائهم في مجال إصلاح الأراضي وريّها ، واستخراج المياه من الأماكن الصحراوية ومعرفة طرق ذلك ، وتصنيف عشرات من الكتب في شتّى المجالات العمرانية والحضارية بلغتهم وأحرفهم تدحض الآراء العنصرية واللاعلمية حول أصلهم ولغتهم وموطنهم ، وحول كونهم من سكنة الجبال دون السهول ، وإن كانت الجبال تشكل معظم سكناهم ! .

المقدمة :

كان الحديث عن الحضارة الكوردية ولغتها قبل عقود من الزمن يعدّ ضربا من التكهن والرجم بالغيب ، ولا نذهب بعيدا إذا قلنا إن مجرد الحديث عن مثل هذا الموضوع عند بعض الحاقدين والحانقين على أمّة الكورد وقضيتهم كان يثير السخرية والجدل والاشمئزاز !.

لكن بفضل التطورات التي حدثت في عالم الآثار والاكتشافات في العراق في الربع ، ثمّ النصف الأول من القرن الماضي من جهة والأحداث والتحولات في المنطقة بعد حرب الخليج الثانية ، في أوائل التسعينيات في القرن الماضي ، وتمكّن الكورد من إدارة إقليمهم (إقليم كوردستان) وتمتعهم بنوع من الاستقلال، تغيّرت الكثير من المعادلات تجاه الإقليم

، ومن ضمن المعادلات التي تغيّرت بصورة كلّية ؛ الحديث عن حضارة الكورد ولغتهم وجذورهم وعمقهم التاريخي .

إن البحث والتنقيب والاكتشاف في الإقليم ، وما كتب في الداخل والخارج حول الكورد في منتصف القرن الماضي ، وما كتب وبحث في العقدين الماضيين عنهم يعتبر تحولا مهما في حياة الكورد وعن لغتهم وحضارتهم وموطنهم وأصولهم.

أظهر الكوردي أنه مثل غيره من البشر قادر على الإبداع والتطور والاكتشاف حين تتهيأ له الأحوال المواتية، وفرص الحياة الحرّة الكريمة ، وتساعده الطبيعة الآمنة المستقرة .

فإذا كان بعض الفلاسفة مثل:

"كراف كوبينو" " 1816-1882" "graf arthur gobineau و"هوستن ستيورات شامبرلن 1855-1927" "housten stewart chamberlainم" يرى تفوق بعض البشر على بعض وبسيادة العقلية الآرية على سائر العقليات [١].

فالكورد أيضا عنصر آري لا يختلفون عن غيرهم من العناصر الآرية الأخرى وكذلك العناصر البشرية في صنع الحضارات وتقدم الأمم .

تاريخ الكورد وحضارتهم كغيرهم من الأمم القديمة مستمد من مصدرين رئيسيين وهما [٢]:

١ . ما تركوها من الآثار القديمة من النقوش والكتابة والبناء والآلات والأدوات التي كانوا يستخدمونها وغيرها من الأمور .

٢ . ما وصل إلينا مما كتبه الأقدمون عنهم .

لم يكن يخطر بالبال أن للكورد لغة مكتوبة قبل آلاف السنين ، برموز وخطوط لا تختلف عن خطوط ورموز لغات الأقوام التي كانت تعاصرها قبل الإسلام ، وأنّ اهتمامهم بشؤون الحضارة ، ما كان بأقل من غيرهم من شعوب الشرق الأوسط ، كما سنبّين ذلك خلال هذا البحث العلمي ، كي نبرهن للعالم حضور الكورد منذ أقدم العصور التاريخية ومشاركتهم في صنع الحضارة ، مثل غيرهم من الشعوب والأمم التي كان لها دور في هذا المجال .

الحضارة لغة واصطلاحا :

الحضارة لغة: الإقامة في الحضر، قال القُطَاميُّ[٣] :

فمنْ تكنِ الحضارَةُ أعجبتهُ فأيَّ رجالِ باديةٍ تَرَانا

والحَضَرُ خلافُ البَدْوِ والحاضِرُ خلاف البادي المقيم في المُدُنِ والقُرَى والبادي المقيم بالبادية [٤] وهي لغة كذلك؛ مرحلة من مراحل التطور الفعلي والإنساني والاجتماعي ورقيها [٥].

الحضارة اصطلاحاً:

الحضارة بمعناها العام، ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة [٦] .

عرّفها ابن خلدون بأنها [٧] :

« التفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه»

وقال عنها أيضا [٨] :

« هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران، زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر. ويقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها ..إلخ ».

حضارة وادي الرافدين:

بلاد الرافدين اسم قديم غير واضح الحدود والمعالم ، إلاّ أنها تطلق غالبا على العراق وما حول دجلة والفرات من الأراضي والمدن ، أي من أعالي النهرين إلى الخليج العربي، كما ذهب إلى ذلك عدد من المؤرخين [٩].

وقد استخدم مؤرخون آخرون هذا المصطلح للدلالة على المنطقة الشمالية من منطقة ما بين النهرين أي : دجلة والفرات ، وبمعنى آخر ؛ أراضي كوردستان الواقعة من الأعلى في تركيا الحالية ، ومن الغرب في أراضي سوريا ، ومن الجنوب في الأراضي العراقية ، وأطلق اسم بلاد بابل على المناطق الجنوبية [١٠] .

لعلّ أول استخدام لهذا المصطلح (بلاد الرافدين) وهو ترجمة لكلمة :ميزو بوتاميا الإغريقية كان بين القرن الأول والقرن الثاني قبل الميلاد من قبل بعض المؤرخين القدامى .

وقد أطلق المصطلح هذا على الجزء المحصور ما بين دجلة والفرات من الأعلى إلى حدود بغداد تقريبا [١١].

إن تحديد بلاد الرافدين بهذه المنطقة المحصورة ، قد يكون ناتجا عن قصور فهم في العصور القديمة لهذ ا المصطلح ، والذي نرجحه أن المصطلح كما يشمل أعالي النهرين وأوسطهما يشمل أيضا جميع الأراضي الواقعة على امتداد النهرين من الجنوب أيضا .

والنهران الخالدان ينبعان مع أغلب فروعهما داخل أرض شمال كوردستان (جنوب شرق تركيا) وجزء منه من الجزء الشرقي منها (غرب إيران) ، فهما نهران كورديان أصلا وفرعا [١٢].

شهدت الحياة البشرية على كوكب الأرض حضارات متعددة ومتعاقبة، ولكل حضارة ميزاتها و خصائصها التي تميزها عن غيرها ، والاكتشافات الأثرية والعلمية بيّنت ذلك .

و من أهم وأبرز هذه الحضارات : الحضارة الصينية ، والهندية ، والمصرية ، اليونانية ، الرومانية ، والفارسية ، والعموريين والكنعانيين والفينيقيين، والآراميين والتدمريين والأنباط وأخيرا حضارة وادي الرافدين مهد الحضارات ، التي تعاقبت فيها الحضارات منذ أقدم العصور وتنوعت من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه ، وعلّمت البشرية أولى خطوات الحضارة ، والثقافة ، والتشريع والتقدم [١٣] .

تعود جذور حضارة وادي الرافدين إلى أكثر من (١٠٠٠٠ ق.م) حيث اكتشفت حرفة الزراعة عند ضفاف الرافدين لأول مرّة في تاريخ البشرية [١٤] .

يحاول بعض الباحثين أن يجعل من سكّان أعالي الرافدين (أصحاب الأرض) منذ أقدم العصور عناصر متغلغلة مع سكّان وادي الرافدين منذ أقدم العصور ، أي بمعنى آخر أنّهم ليسوا بسكّانها الأصليين ، وإنما وفدوا إليها من أماكن أخرى ، ويعدّ من هؤلاء الأقوام : الطوتيين [١٥] والكيشيين [١٦] واللولوبيين [١٧] والميديين [١٨] والحوريين [١٩] مع ترجيحه لكوردية هؤلاء الأقوام .

ويعدُّ هذا إجحافا بحق قوم ، هم أهل الأرض منذ أقدم العصور ، وتشهد الاكتشافات الأثرية الحديثة . كما سنبيّن طرفا منه في الصفحات القادمة . أن هؤلاء القوم ما هم إلاّ امتداد للأقوام الذين سكنوا هذه الأراضي منذ العصور الحجرية القديمة والحديثة ، وليسوا بغزاة ولا متغلغلين في ديار غيرهم .

فالطوتييون قد يكونوا مثلا هم أنفسهم الجوديون المذكورون في القرآن الكريم [٢٠] ويقع هذا الجبل في لبّ أراضي الكورد وموطنهم وهو محافظة : هكاري في جنوب شرق تركيا الحالية [٢١] فالطوتيّ هو : الجودي ، والطوتي ، نسبة إلى الجودي ، الجبل ، وقد تغيّرت الكلمة بمرور الزمن ، من الجودي إلى الطوتي ، وإن كنت أرى العكس ، أي أن أصل اسم هذا الجبل هو : الطوتي وبما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، فعرّب هذا الإسم من الطوتي إلى الجودي ، وهم سكّان هذه الجبال والبقاع إذن منذ عصور ما بعد الطوفان .

وبلاد الكورد كانت جزء من حضارة وادي الرافدين ، حيث تتوفر فيها الوسائل الكفيلة والمناخ الملائم بنشوء الحضارات والمجتمعات على اختلاف أشكالها ، فالجبال و الأودية والسهول والهضاب التي تبعث الأنهر والينابيع والآبار ،وحيث توجد المياه وتتساقط الأمطار وتتوافر الكهوف والصخور، والأشجار ، والمراعي ، والمزارع وهي من العوامل المساعدة على نشوء الحضارة وحفظ الآثار[٢٢] .

إنسان العصر الحجري القديم :

بدأ تكوين هذا العصر (٢٣٠٠٠٠٠ ق.م) وانتهى في (١٢٠٠٠ق.م) [٢٣] .

تدلّ الأبحاث في الفترة الوسيطة من العصر الحجري القديم ما بين (٨٠٠٠٠ . ٣٠٠٠٠٠ ق.م) أن أقدم الاستيطان قد بدأ في أرض كوردستان في الكهوف وعثر على بقايا بشرية كعظام الإنسان النياندرتال[٢٤] المنقرضة من الوجود [٢٥] .

وفي العصر الحجري القديم الممتد بين (٣٠٠٠٠ . ١٢٠٠٠ق.م) ظهر فيه مكتشفات أخرى في الجزء الشرقي من كوردستان مابين المنطقة الممتدة من جبال زاطروس [٢٦] حتى بحيرة أرومية[٢٧] وهو الجزء المكمل لكوردستان [٢٨].

ففي عام (١٩٢٨م) قامت الباحثة والآثارية الشهيرة : (دوروثي غارود) بإجراء أول اكتشاف خاص بالعصر الحجري القديم في كهف (زار زي) القريبة من مدينة السليمانية شمالا بحدود عشرين ميلا [٢٩] وحصلت على مخلفات بشرية لم تحرّك من مكانها توافق الحضارة الغرافيتية في أوربا ، وفي تجربة واكتشاف ثان استطاعت غارود ، وقرب نفس المنطقة وفي كهف آخر يسمى (هزار مرد) حيث أظهر هذا الإكتشاف الجديد ، صناعة صوانية أكثر قدما يمكن تسميته بالصناعة الموستيرية بسبب الحصول على الأدوات والمكاشط وجيدة الوجه [٣٠].

أضاف العالم الأثري الأمريكي (رالف سوليكي) إنجازا آخر إلى هذه الإنجازات حين اكتشف في كهف ؛ شانيدر [٣١] وحصل على أدوات تمثل حضارة صناعة الرقائق الصوانية ، مع أربعة هياكل عظيمة تعود للإنسان : النياندرتال وفي عام (١٩٤٩م) عثر العالم الأمريكي (كارلتون كون) في كهف (بيستون) بكرمانشاه في إيران آثارا لصناعة موستيرية وهياكل بشرية تتطابق مع ما اكتشف في هزار مرد [٣٢].

واكتشف العالمان الأمريكيان : هـ . ي . رايت، وبروس هاو في خطوة تعدّ متقدمة اكتشافات هامّة وأعظم مما اكتشفه سابقوهم في المنطقة نفسها سنة (١٩٥٠م) في كهف (ثالي طاورا) قرب كهف (زار زي) تمثل صناعة الصوان الميكروليتي وصناعة النصال المصقولة وهي عبارة عن رؤوس سهام مصنوعة الأحجار الرقيقة ، ومجموعة كبيرة من المكاشط والنصال وأدوات النقش ، وأدوات قتالية كالفؤوس المصقولة ، وكذلك أدوات الطحن كأجزاء من جواريش تستعمل من أجل هذا الغرض .

ولم يقتصر الأمر على هذا بل تعدّي إلى أدوات التزيين وتجميل النساء كالخرز والعقود والحلي المصنوعة من الأصداف ، هكذا كان الإنسان البرادوستي[٣٣] ـ كما يطلق العلماء عليه هذا المصطلح ـ كان يعيش في تلك الحقبة من الزمن [٣٤].

إنسان العصر الحجري الحديث (Neolithique) :

وهي مرحلة من مراحل التطور البشري، ويعبر عنها بمرحلة : الزراعة وتدجين الحيوانات ، وعدّ بعضهم صناعة الفخار من مميزات هذا العصر[٣٥].

ومما اكتشف من آثار هذا العصر في كوردستان على أيدي العالمان :بريد ، وود ، في موقع (شايو نو) قرب ديار بكر [٣٦] يتبيّن من خلال هذا الموقع أن سكّان هذه المنطقة كانوا على دراية جيدة بأمور الزراعة وتدجين الحيوانات ، مع المهارة في فنون العمارة والبناء .

ومما تميّزوا به أيضا هو صناعة الأدوات البسيطة بواسطة طرق النحاس المحلي على البارد ، ويعدّ هذا أقدم استعمال للنحاس على الإطلاق ، وكان هذا التطور حاصلا بين سنوات (٧٥٠٠ ـ ٦٥٠٠ ق.م) ، [٣٧] هذا فيما يتعلق بشمال كوردستان .

أمّا في شرق كوردستان (إيران) فهناك ثلاثة اكتشافات اجريت بصورة عامة في إيران سنة (١٩٥٠ م) على أيدي : ب . سينغ ، وهي من أهم الدراسات حول العصر الحجري الحديث وتقع في :كرمنشاه [٣٨] وخوزستان وجنوب غرب بحيرة أورمية[٣٩] .

ففي مواقع تابعة لمحافظة كرمنشاه (بختران) بإيران مثل : (تثة أسباب) و (تثة ساراب) (تثة طنج دارة) و تثة طوران) ففي هذه المواقع حصل المكتشفون على عدّة آثار تدّل على تجمع شبه دائمي لجامعي الطعام ، وتدجين المعز ، واستخدام الغَضَار [٤٠] المشوي من أجل صناعة التماثيل والأشكال المختلفة ، وآثار العمارة المبنيّة عن بيوت مستقيمة الزوايا ، بشكل مجمعات تستند بعضها إلى البعض ، ولها سور مصنوعة من القِرْمِيد [٤١] المحدّب ، وتوحي آثار الصقل الموجودة على بعض النصال بوجود عملية لحصاد الحبوب ، وهناك عدد آخر من المواقع الأثرية في نفس المنطقة ، وهي مرحلة متقدمة من التطور الحضاري ، ولها ما يماثلها في جنوب كوردستان في منطقة : شوغا مامي [٤٢] وكذلك في موقع (كريم شاهير) قرب (ضمضمال) بمحافظة كركوك.

وتعود هذه التطورات لفترات متتالية من بداية ما بين أعوام (٧١٠٠ . ٦٨٠٠ ق.م) و (٧٣٠٠ . ٦٩٠٠ ق.م) و (٦٥٠٠ . ٥٥٠٠ ق.م) ، [٤٣].

وقرية : ضرمو [٤٤] التي تعود إلى (٦٧٥٠ ق.م) قبل الميلاد ، لا تقل أهمّية عن ما وجد فيها من آثار تدلّ على الإنتقال الحضاري من مرحلة إلى مرحلة [٤٥].

يحاول سيتون لويد أن يجعل أو يربط حضارة (ضرمو) في العراق بحضارة (تثة طوران) في محافظة بختران (كرمنشاه) بإيران ، ويجعلهما حضارة واحدة مكمّلة بعضها لبعض ، وهذا أمر طبيعي ومنطقي لأن الأرض واحدة والشعب واحد ، لكن يرى أن حضارة (ضرمو) بقدر ما هي أقرب لحضارة إيران ، فهي أبعد من حضارة وادي الرافدين [٤٦] وهذا التصور ناتج عن قصور وعدم استيعاب المؤرخ والآثاري المذكور لبلاد الكورد ، وهو لا يعلم أن وطنهم ممتدّ من كرمنشاه إلى الأناضول شمالا ، وشمال سوريا ، وكذلك شمال العراق ، فهذه المناطق تشكّل جزءاً حيويا من بلاد الرافدين ، وتقع معظمها في البلاد الثلاثة الأخيرة ، قد يكون هذا السبب هو الذي دفع بهذا المؤرخ لهذا النوع من التصور .

بداية التاريخ المكتوب والسومريين :

لا يمكن لأمّة أن تكون أمّة أو تعدّ حضارة بدون لغة أو كتابة ، فاللغة والكتابة إحدى أعمدة الحضارة ، فأي قوم لا تملكهما يمكن تصنيفها في سجل الأقوام البدائية .

لم تكن الكتابة في التاريخ القديم أمرا شائعا، بل ولا تزال مئات اللغات في عالمنا المعاصر منطوقة لا يكتبها أهلها .

كان اختراع الكتابة من أهم مقومات حضارة وادي الرافدين وقد ظهرت بداياتها في الألف الثالث قبل الميلاد ، وكانت في بداية تكوينها تتألف من ألفي علامة صورية [٤٧].

أظهرت الكشوفات الحديثة عددا هائلا من النقوش السومرية ، والسومرية من أقدم اللغات التي دونت، وربما تكون أقدم لغة دونت في العالم .

واتضحت ملامح اللغة السومرية وملامح الحضارة التي سجلها السومريون بلغتهم [٤٨].

والسومرية هذه ليست من أخوات العربية، بل هي لغة قائمة برأسها، وهي أقدم سلف حضاري للدول الشرق الأوسط عامة [٤٩].

استطاع السومريون بمهارتهم وقدرتهم وابداعهم ، تطوير لغتهم وجعلوا منها أداة ناجحة للتدوين ، ومرّت الكتابة هذه بثلاثة مراحل [٥٠]:

١ . المرحلة الصورية وهي أقدم المراحل :

تبدأ هذه المرحلة الكتابة بالخط المسماري بهيئة صورية ،أي أن كل صورة تمثل كلمة ، فإذا أراد السومري التعبير بكلمة : سمكة ، رسم صورة سمكة،أو كلمة : ثور : رسم ثورا وهكذا .

٢ . المرحلة الرمزية :

وهي تدوين الأشياء والأفكار المعنوية برسم صور لها بهيئة مختصرة ، فمثلا صورة القدم أو الرجل، لا يقصد بها القدم فقط ، بل تتعدى إلى معاني أخرى مستمدة من معناها الأصلي مثل : ذهب ، قام ، وقف .. إلخ .

وبجمع هاتين الطريقتين استطاع السومريون التعبير عن أشياء كثيرة لم يستطيعوا التعبير عنها في الصورة أو المرحلة الأولى ، لكن الكتابة ظلّت ناقصة غير تامّة .

٣ . المرحلة الصوتية :

وهي آخر مرحلة توصل السومريون إليها في كتابة الخط المسماري ، وهو إعطاء أصوات للعلامات تتناسب ولغتهم مجرّدة عن مدلولاتها الصوتية والرمزية .

يقول المؤرخ المعروف ؛ ول ديورانت [٥١] :

"ولقد كان من حسن حظنا أن سكان ما بين النهرين لم يكتبوا بالمداد السريع الزوال على الورق السريع العطب القصير الأجل، بل كتبوا على الطين الطري ونقشوا عليه ما يريدون نقشه بسن آلة حادة كالإسفين. وكانوا في ذلك جد مهرة، فاستطاع كتابهم بفضل هذه المادة اللينة أن يحتفظوا بالسجلات، ويدونوا العقود والمشارطات، ويكتبوا الوثائق الرسمية، ويسجلوا الممتلكات والأحكام القضائية والبيوع، ويخلقوا من هذه كلها حضارة لم يكن القلم فيها أقل قوة من السيف. وكان الكاتب إذا أتم ما يريد كتابته جفف اللوح الطيني في النار أو عرضه لحرارة الشمس (وهو ما يعرف : بالفخّار) فجعله بذلك مخطوطا أبقى على الدهر من الورق، ولا يفوقه في طول العمر إلا الحجر وحده. وكانت نشأة هذه الكتابة المسمارية وتطورها أعظم ما للسومريين من فضل على الحضارة العالمية ".

واجه الساميون المهاجرون إلى أرض وادي الرافدين شعبا ذا حضارة زراعية سبقهم إلى الإقامة في هذه المنطقة، وهو الشعب السومري [٥٢].

سكن الساميون "أكد" وهي أول مدينة سكنها الوافدون في شمال بابل، وقد أطلق هؤلاء اسم الأكادية على لغتهم تمييزا لها عن اللغة السائدة في جنوب أرض الرافدين آنذاك، وهي اللغة السومرية [٥٣] .

حاول الأكديون القضاء على السومريين ولغتهم في بادئ الأمر ، لكنّهم لم يستطيعوا ذلك ، فلم يكن أمامهم خيار إلاّ الاختلاط والتفاهم معهم فساد ازدواج لغوي مستمر أكثر من ستة قرون (٢٥٠٠-١٩٠٠ق.م). وفي هذه الفترة اختلط الساميون البسطاء بالسومريين الأكثر حضارة واندمج السومريون شيئا فشيئا مع الساميين وفي النهاية إنتهى الأمر إلى سيادة اللغة الأكادية في كل مناطق العراق وانتهاء استخدام اللغة السومرية [٥٤].

تتفق أغلب الأبحاث التاريخية والأثرية أن السومريين هم من جذور وأصول سكان وادي الرافدين الشمالية ، لكنّ أغلب الباحثين يحاولون النأي بأنفسهم في تحديد موطنهم وأصولهم مع علم بعض هؤلاء أن هذا القوم يرجّح أن يكون من الشعب الكوردي ومما يدلّ على ذلك :

١ . شبه اتفاق المحققين من الآثاريين والمؤرخين أنهم من سكّان شمال العراق ، أو جبال زاطروس أو من أجداد العيلاميين [٥٥] وقد يحدد بعض الباحثين مسكنهم الأول بمنطقة محافظة أربيل الحالية ، لكنّه لا يريد أن يعترف بأصولهم الكوردية ! [٥٦].

٢ . الألواح السومرية تذكر بوضوح أسماء بعض ملوكهم ، بأسماء كردية بحتة مثل الملك :آغا) [٥٧] و اينميركار [٥٨] وجلجامش وغيرهما [٥٩].

إنّ الألواح التي عثر عليها في أور تحتوي على نصوص فيها أسماء ثلاثة من الملوك السومريين الذين قاموا بإصلاح معبد " تومال " وهم كل من : (آغا) و (جلجامش) و (ميسانيبادا) ، ونجد في بعض النصوص السومرية (الملاحم) أنّ (جلجامش) قد حارب(آغا) ملك : كيش [٦٠] ويرجح تحديد زمنهم بالمرحلة الثالثة من عصر السلالات الباكرة مابين عامي (٢٦٥٠ . ٢٥٥٠) قبل الميلاد ، كما أن هناك نصوصا أُخَر ذكرت ملكا آخر من ملوك سومر ، كان ملك (إيريك) صاحب ملحمة قديمة مشهورة وهو : (اينمير كار) وتعدّه بعض المصادر الإغريقية جدّا لجلجامش [٦١].

٣ . وسبق أن ذكرنا أن السومريين كانوا يستخدمون في كتاباتهم ولغتهم رمزاً واحداً لمدلولين مختلفين فهم يستخدمون (Kur) كور ، بمعنى الجبل والوطن ، وهذه دلالة أو إشارة ضمنية إلى انهم يعنون بان وطنهم الجبل وهو :جبال زاگروس .

كما أننا نلاحظ أنّهم لم يبنوا معابدهم على أرض مستوية بل على أرض مرتفعة على شكل زقورات ، كي يظلّ انتمائهم إلى الجبال التي قدموا منها .

ابن الوحشية وحضارة الكورد قبل الإسلام :

يعدّ ابن الوحشية [٦٢] أعظم باحث يكشف اللثام عن حلقة أخرى من حلقات تواصل الكورد مع الحضارة الإنسانية قبل الإسلام في وادي الرافدين في تاريخ الإسلام ، فقد استطاع هذا العالم والباحث الجليل أن يحفظ للتاريخ والتراث الكوردي والعالمي . لأول مرّة في تاريخ الإسلام . تراثا حضاريا رائعا ، لم يكشفه أحد قبله على مرّ الزمن ، وذلك في بعض مؤلفاته القيّمة، وعلى رأسها كتابه : شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام [٦٣].

فإن كان بعض الباحثين والمؤرخين والآثاريين قد غمّضوا أعينهم عن رؤية محاسن الكورد وحضارتهم ، وصمّوا آذنهم عن سماع ما يتعلق بهم ، ومنعوا أقلامهم بكتابة ما هو حقّ وجميل بحق هذا الشعب والاعتراف بماضيهم وحاضرهم ، فقد استطاع هذا

الباحث أن يوضّح للعالم ، وأن يردّ هذا النكران للجميل ، بالاعتراف بلغة وحضارة هذا الشعب بصريح العبارة ، دون تردد أو تجبجب ، وبهذا فهو أول عالم وباحث حيادي وموضوعيّ وعلميّ ، تمكن من أداء رسالته العلمية حول أمّة الكورد لغة وحضارة ، علما أنّه لم يخل عن غيظ أو سلامة صدر منهم !.

الكتابة والخط الكوردي قبل الإسلام :

حين يرى أو يسمع الباحث أو القارئ هذا العنوان ، يجد نفسه أمام سؤال ملحّ فجأة وهو :

وهل كان للكورد ، خط أو كتابة ، قبل عصرنا هذا ؛ العصر الحديث ؟ .

وهل يمكن أن يكون للكورد شيئ مثل هذا لا سيّما قبل الإسلام أو ربما قبل الميلاد أو أقدم من هذه التواريخ ؟.

لا يكاد يصدّق الإنسان أي تصديق أو مجرد تفكير أن يكون للكورد خطا أو كتابة أو حضارة قبل الآف السنين ، ثمّ يفاجئهم أحد العلماء المتقدمين في التاريخ الإسلامي ويشهد لهم بصريح العبارة بأنّ لهم لغة وخطا وكتابة وخزائن كتب وحضارة ! [٦٤].

يُعَدُّ كتابُ ابن وحشية (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) أشهرَ كتاب تكلّم بالتفصيل عن الأقلام وأقدمها ، وأول كتاب يذكر آثار الكورد في هذا المجال ، كما و نقل عنهم ، مخطوطات وآثارا تتحدّث عن العمران والحضارة ، وكانوا من أوائل من اعتنوا بذلك في تاريخ البشرية منذ أقدم العصور .

لدراسة الأقلام أهمية بالغة في مجالات عِدّة مثل : الكشف عن اللغات البائدة ، ودراسة تاريخ اللغات ، والآثار، والترجمة ، والتاريخ ، وغيرها [٦٥].

الأقلام هي رموز تصور اللغةَ المحكية مكتوبةً باستعمال رموز محددة [٦٦].

ومن أوائل نُظُم الكتابة في بلاد الرافدين الكتابةُ المسمارية [٦٧](Cuneiform) وأولها السومرية وهي كتابة أكثر ما وجدت منقوشة على الطين المشوي رُقُم (tablets) أو منقوشة على الحجر (rock) كما سبق الحديث عنه.

يورد ابن الوحشية في كتابه المذكور قلما للكورد ،من الأقلام القديمة التي كانت تستخدم قبل الإسلام بآلاف السنين ، لكنه لا يذكر . مع الأسف . متى كان هذا القلم يستخدم وفي أية دولة من دول الكورد ، ويتكون هذا القلم أو اللغة من ثلاثين حرفا لكل حرف رمز .

وهو من الأقلام العجيبة كما يقول عنها ابن الوحشية [٦٨].

وجد ابن الوحشية في بغداد في ناووس [٦٩] من هذا الخط بلغة الكورد ثلاثين كتابا ، وحمل معه كتابين منهما إلى الشام أثناء رحلته ويقول [٧٠]:

"فترجمتها من لسان الأكراد إلى اللسان العربي لينتفع به أبناء البشر " .

يتبيّن من هذا النص ومن خلال هذا الكتاب أن أمّة الكورد كانت أمّة لها لغتها وكتابتها منذ أقدم العصور ، ويكفي أنّ ابن الوحشية يعترف ويشهد أنّه رأى بلغتهم ثلاثين كتابا وترجم بعضه إلى العربية ، ويعدّ هذا الاعتراف أول اعتراف في التاريخ بالوثائق أن للكورد لغة مكتوبة قبل الآف السنين لها رموزها وحروفها المتكونة من ثلاثين رمزا وحرفا! .

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو :من كان يملك مثل الكورد عشرات الكتب ، مدوّنة بلغتهم منذ أقدم العصور ؟.

وهذه الكتب ما هي إلاّ نذر يسير مما خلّفه الكورد للبشرية ، ومما سلمت من أيدي العابثين وعوادي الدهر!.

مساهمة الكورد في الزراعة والفلاحة في حضارة بلاد وادي الرافدين:

يشير ((ويل دورانت)) إلى أن الحضارة تتألف من عناصر أربعة ، و هي [٧١]:

١- الموارد الاقتصادية .

٢- النظم السياسية .

٣- التقاليد الخلقية .

٤- متابعة العلوم و الفنون .

ذكرنا فيما سبق مساهمة الكورد في فن الكتابة والخط ، والعمارة ، وبعض الصناعات الأولية ، وشيئا من صناعة مواد الزينة ، فهل كان للكورد دور في الزراعة والفلاحة في وادي الرافدين في كتاب ابن الوحشية ؟ .

يستدلّ من كتاب ابن الوحشيّة أن الكورد منذ القدم كانوا أحد الشعوب المهتمّة والمعنية بالزراعة والبستنة والاهتمام بهما ، وخير شاهد على هذا الاهتمام والاعتناء تاليفهم للكتب المتعلقة ، بالبستنة والأشجار المحترمة كالنخيل والكروم [٧٢] وهذا دليل آخر من الأدلّة الضمنيّة من أن الكورد سكنوا بلاد الرافدين منذ عصور متقدمة ، إذ من المعلوم أن النخيل لا تنموا في المناطق الجبلية ، والباردة ، فمكان نموها الطبيعي المنطقة الحارّة أو

شبه الحارّة وهي المنطقة الوسطى والجنوبية ، وهذا يعني أن الكورد كانوا يسكنون هذه المناطق قبل غيرهم منذ أقدم العصور ، كما نستنتج أن النخيل والكروم كانت من أشجار الكورد منذ ذلك الزمن ، إلى أن زحف عليهم الأقوام الأخرى وطردوهم من أماكن سكناهم ، وسكنوا في موطنهم وديارهم .

ذكر ابن الوحشية من ضمن الكتب الثلاثين التي ترجم بعضها إلى العربية من لسان الكورد كتاب : أفلاح الكرم والنخل ، ونصّ على أنه كان عنده بالشام مع كتاب: علل المياه(٧٣).

ومن مساهمة الكورد في الحضارة الإنسانية ، دورهم أيضا في البحث عن أهم عامل من عوامل الحياة وهو : المياه وطرق استخراجها من الأماكن التي لا يمكن الحصول على المياه فيها بسهولة (٧٤).

وهذه مأثرة حضارية من مآثر الكورد في تنمية الزراعة واستخراج الماء من باطن الأرض ، واستخدامه من أجل ديمومة الحياة ، ومن أجل الزراعة والإرواء .

وقد يستدلّ بهذا الأمر أيضا أن الكورد لم يكونوا جميعها يسكون المناطق الجبلية وإنما كان بعضهم يسكنون وسط وجنوب العراق ، كسهل العظيم ، والجزيرة ، وجزء من جنوب العراق (٧٥).

إن تأليف الكورد في تلك الحقب الزمنية البعيدة عن الحضارة والتأليف والعلم والفهم كتبا في علل المياه وطرق استنباطها من الأراضي القاحلة والفلوات ، لاشكّ تدل على عبقرية هذا العنصر البشري وذكائه ، في عصر كان أغلب الناس يعيشون على صورة مجموعات من البشر المتخلفين عن ركب التمدن والحضارة.

يقول ابن الوحشية عن هذا الكتاب (٧٦) :

" وكتاب في علل المياه ، وكيفية استخراجها واستنباطها من الأراضي المجهولة الأصل " .

الخاتمة والنتائج:

الدراسات والبحوث الحديثة أثبتت أن كثيرا من أمم الأرض وشعوبها ، كانت لها حضارة ، وكانت لها لغة مكتوبة بنوع ما من الأنواع ، سواء كانت بطريقة الرسم ، أو الرموز ، أو الحروف أو غيرها عبّروا من خلالها عمّا كان يدور من حولهم من القضايا والأحداث

والتطورات ، وقد سبق القرآن هذه النظرية وأثبت أن لكلّ أمّة من أمم الأرض ، قد بعث الله لها رسولا بلسانهم [٧٧] وهذا دليل على تقدم اللغة على البعثة والهداية.

وأمّة الكورد كانت واحدة من تلكم الأمم التي كان لها لغتها وأرضها وحضارتها ودولها قبل الإسلام وبعده ، لكن بسبب عدم قيام دولة لها في العصر الحديث ، ذهبت وانطمست معالم حضارتها ولغتها أدراج الرّياح ! .

وإن مما يستنتج من هذا البحث المتواضع جملة أمور منها :

١ ـ أن أرض وموطن الكورد كانت منذ أقدم العصور الحجرية مهد البشرية ، وفي أرضها اكتشف هيكل أقدم إنسان في التاريخ البشري .

٢ ـ أنها واحدة من أقدم مهد الحضارات في الشرق الأوسط ، وربما على كوكب الأرض أيضا .

٣ ـ أنّ الاكتشافات الحديثة ، قد أظهرت جانبا كبيرا من آثار الحضارة والتقدم في هذه البقعة من الأرض .

٤ ـ أنّ الكورد كان لهم لغتهم الكتابية ، بكل ما تعنيها لغة الكتابة ، وهم أول من دوّنوا وسجلوا للتاريخ الكتابة .

٥ ـ أن لغتهم كانت لغة الكتابة والتدوين وقد سجّل بها عشرات من المؤلفات المتنوعة والمختلفة.

٦ ـ أنهم قوم سكنوا أغلب بلاد وادي الرافدين في الحقب الزمنية القديمة ، بخلاف ما سجّل عنهم أنّهم شعب جبلي ! .

٧ ـ نرجّح أن يكون السومريين من سلالة الكورد ، وزحفوا باتجاه الجنوب في وادي الرافدين في ظروف غامضة ، لا نعلم سبب تحولهم .

٨ ـ أسماء بعض ملوك السومريين ، يظهر منها أنّهم من سلالات كردية ، كانت تسكن شمال العراق (إقليم كوردستان الحالية) .

٩ ـ أنّهم أول قوم في تلك العصور القديمة ، يدوّنون كتبا في كثير من مجالات العلم والفن والزراعة ، والري والبستنة ويعتنون بها ويضعون لها قوانين ونظريات ناجحة ، كما بيّن كتاب ابن الوحشية هذا الموضوع بكل وضوح وصراحة .

١٠ ـ أن اللغة الكوردية القديمة تتكون حروفها الهجائية من ثلاثين رمزا أو حرفا ، وهذا قريب ، من عدد حروفهم الحالية عددا ، كما أنّ فيها حروف (ض و ث) منذ أقدم العصور .

١١ ـ أن الزراعة والبستنة كانت من أهم أولوياتهم ، وأن من أشجارهم المعروفة : النخيل والكروم .

الهوامش ومصادر ومراجع البحث :

[١] . ينظر الدكتور جواد علي ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤ ، الناشر : دار الساقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ١ / ٢٥٧ . ونحن لا نعبأ بمثل هذا النوع من القول الذي يمجد العنصر الآري ويصفهم بكل كمال، وينزههم عن كل نقص، لأن هذا النمط من التفكير ليس نمط البحث العلمي والموضوعي الذي درسناه وهو في اعتقادنا نوع من أنواع العنصرية ، فإننا نؤمن بأن المخ البشري ، ليس فيه تفاوت كبير بين قوم وقوم ، وإنمّا التفوق يأتي من خلال استخدام العقل والتفاعل البنّاء مع نواميس وقوانين الكون والحياة .

٢ـ ينظر عمر الإسكندر والمضرا . ج . سظدض ، تاريخ مصر إلى الفتح العثماني ط٤ ، مطبعة المعارف . مصر ١٩٢٠م ص ٢ .

[٣] . ينظر البيت الأنصاري: جمال الدين ابن هشام: (ت ٧٦١هـ) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ،تحقيق د . مازن المبارك / محمد علي حمد الله ،الناشر دار الفكر . دمشق ١٩٨٥م ، ص ٦٥٩ ، البيت رقم (٨٩٣) .

والقُطَاميُّ الصَّقْر وهو مأخوذ من القَطَم وهو الشَّهْوان للحم ،واسمه عُمَير بن شَيْبِم التغلبي ينظر الدينوري: أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، أدب الكاتب، تحقيق : محمد محيى الدين عبدالحميد ، ط٤ ، الناشر : المكتبة التجارية – مصر، ١٩٦٣م ص ٥٦ (٧٢ – المُسَمَّوْنَ بأسماء الطير) القيرواني: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق : أ. د / يوسف على طويل، ط١ ، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م ١ / ٢٥ .

٤. ينظر ابن منظور ، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، لسان العرب ، ط١ ، الناشر : دار صادر – بيروت ٤ / ١٦٩ (حضر) ، د . أحمد مختار ، المصدر السابق ١ / ٥١١ (١٤١٧ – ح ض ر).

٥ . ينظر د . أحمد مختار عبد الحميد عمر(ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١ ، الناشر: عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ١ /٥١٣ (١٤١٧ – ح ض ر).

٦ . ينظر نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ، طبعة بغداد ١٩٨٥م ١ / ١٦ (البيئة والطبيعة والإنسان ، د . تقي الدباغ) .

٧ . ينظر ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي: مقدمة ابن خلدون ، الناشر دار القلم . بيروت ، سنة النشر ١٩٨٤م ، ص٣٧٢ .

٨ . ينظر ابن خلدون : المصدر نفسه ص ٣٦٨ . ٣٦٩ .

٩ . ينظر بارو ؛ أندري ، سومر فنونها وحضارتها (مترجم) بغداد ١٩٧٧م ص ٨٦ ، باقر ؛ طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٨٦م ص١٣ ، رشيد ؛ د. عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين ، ط١ ، دار المدى للثقافة والنشر . دمشق ٢٠٠٤م ص ١٤ .

١٠ . ينظر على سبيل المثال :لويد : سيتون لويد ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الغزو الفارسي ، ترجمة : محمد طلب ، ط١ ، دار دمشق ١٩٩٢ . ١٩٩٣ م ص١٥ .

والواقع أن حضارة وادي الرافدين تمتدّ إلى منطقة أكثر اتساعا ؛ فتشمل العراق عامّة ، وتتجاوز جانبي النهرين باتجاه الجنوب الشرقي، وتمتد عمقا إلى أراضي إيران المرتفعة ، كما تشمل سهلا يبلغ طوله (٦٠٠) ميل من جبال أرمينيا إلى الخليج العربي .

ينظر بارو أندري ، المصدر السابق ص ٨٦ ، د . عبدالوهاب ، المصدر السابق ص ١٤ .١٥ .

١١. ينظر نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ١ / ١٣ (البيئة والطبيعة والإنسان ، د . تقي الدباغ) .

١٢ . ينظر الموصلي : منذر الموصلي ، القضية الكردية في العراق (البعث والاكراد) ، دار الغصون – بيروت ، ص ٢٦ .

١٣ . ينظر باقر ؛ طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ، ١٩٨٦ ص ٣٢ ، د. سوسة ، أحمد ، حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية ، دار الحرية للطباعة . بغداد ، ١٩٨٣م ١ / ٢٠٨ ، د.علي ؛ فاضل عبد الواحد ، من ألواح سومر إلى التوراة ، بغداد ، ١٩٨٩م ص ١٧ .١٨ ، د. عبد الوهاب ، المصدر السابق ص ٣٢،٣٣ .

١٤ . ينظر لويد : آثار بلاد الرافدين (مصدر سابق) ص ٣٢ .

١٥ . هم أسلاف الكورد القدامى من جبال زاطروس .ينظر باقر، طه ، مصدر سابق ص ٨٠ ، د. سوسة ، أحمد، المصدر السابق ١ / ٣٩٤ ، ٢ / ٥٠.

١٦ . هم أسلاف الكورد من أواسط جبال زاطروس ، سيطروا على العراق حوالي أربعة قرون (١٥٩٥ . ١١٥٧ ق.م) ينظر مطر ؛ سليم ، العراق سبعة آلآف عام من الحياة ،ط١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . بيروت ٢٠١٣م ص ٦٢ .

١٧ . تشير بعض المصادر التاريخية أن هذا الشعب من الشعوب الكردية التي كانت تعيش في منطقة كركوك وإلى زهاو في عهد (سرجون الأكدي) في القرن ٢٨ ٠ ق.م) ينظر زكي؛ محمد أمين : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ، تعريب :محمد علي عوني . القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م ص ٢ . ٣ .

١٨ . سكن هذا الشعب شمال غرب إيران أي بلاد (ميديا) منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وتمكن في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد من تأسيس حكومة مستقلة ، وانشأ مدينة (آقباتان = همذان) ، واتخذها عاصمة لحكومته . ينظر زكي : المصدر السابق ص ١٥ـ ٢٦ ، الملا : جواد ،كردستان وطن وشعب بدون دولة ، مطابع كردولوجيا للنشر . لندن ١٩٨٥م ص ٣٥ . ٣٦ .

١٩ . أحد الشعوب الكوردية الذي استوطن في نوزي (يورغان تثة بالقرب من كركوك) و تثة كورا قرب الموصل . ينظر مجموعة من الباحثين : حضارة العراق (مصدر سابق) ١ / ١٩ . ٢٠ (البيئة الطبيعية والإنسان، د. تقي الدباغ) .

٢٠ . يقول تعالى حكاية عن مجادلة أحد أولاد النبيّ ؛ نوح عليه السلام لأبيه (وهو كافر) أثناء الطوفان حين خوّفه أبوه من سوء عاقبة كفره :

{ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) }. سورة هود .

٢١ . قال الحميري ويسمّى :

" سوق ثمانين بين الجزيرة وبلاد الموصل حيث جبل الجودي الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام حين أرسل الله تعالى الطوفان على قومه، وهو قبل بازبدى، وسوق ثمانين أول مجمع بني أو عرش بعد الغرق "

الحِميري: محمد بن عبد المنعم ، الروض المعطار في خبر الأقطار ،المحقق : إحسان عباس، ط٢ ،

الناشر : مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – طبع على مطابع دار السراج – ١٩٨٠ م ص ١٥٠ .

وهكّار : بالفتح وتشديد الكاف ، ولاية من اعمال الموصل ، وتنسب المدينة الى الجبال التي حولها ، كما ينسب الكرد القاطنين في تلك البلاد والجبال ، بالكرد الهكارية. ينظر ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله ، معجم البلدان ،الناشر : دار الفكر – بيروت ٢ / ١٧٩ ، ٥ / ٤٠٨ ،وينظر كذلك الشيباني: علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، الكامل في التاريخ ،تحقيق عبد الله القاضي،الناشر دار الكتب العلمية . بيروت ،سنة النشر ١٤١٥هـ ١٠ / ٣٧٢ ، السيوطي : جلال الدين ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، دار صادر . بيروت (د . ت) ص ٢٧٩ .

٢٢ . ينظر نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ١ / ٧٨(إنسان الكهوف والآلات الحجرية ، عبد القادر حسن علي).

٢٣ . ينظر أور ؛ فرنسيس ، حضارات العصر الحجري القديم ،تعريب د.سلطان محيسن ،ط١ ، مطابع ألف باء ، دمشق ١٩٨٩م ص ٤٠.٤١ .

٢٤ . هذه الهياكل البشرية والآلآت عثر عليها في كهف شانيدر ويقع كهف شانيدر في وادي شانيدر (٢٢٠٠) قدم فوق مستوى سطح البحر في جبال برادوست حيث يصبّ نهر الزاب ، وسمّي هذا النوع من البشر بنيادرتال نسبة إلى موضع في ألمانيا قرب (دسلدورف) يرجع تاريخه إلى العصر الجليدي حوالي (٤٥٠٠٠٠ . ١٠٠٠٠٠) .ينظر نخبة من الباحثين العراقيين ، مصدر سابق ١ /٨١ ، ٨٣ ، ٨٥(إنسان الكهوف والآلآت الحجرية ، د . عبد القادر حسن علي) .

٢٥ . ينظر أور ؛ فرنسيس ، المصدر السابق ص ١١٥ .١١٦ ، ميلاد ؛ عبد المجيد ، التقنيات والعلوم من أدوات العصور الحجرية إلى المنهج العلمي الحديث ، تونس ٢٠٠٤م ص ٣٥ .

٢٦ . يرجع أصل تسمية زاكروس إلى أصول إغريقية ومعناه العاصف أو ذو العواصف. يبلغ طولها حوالي (١٥٠٠) كلم. تمتد هذه السلسلة الجبلية في المناطق الكردية بين؛ تركيا والعراق شمالا حتى مضيق هرمز جنوباً. يبلغ ارتفاع أعلى قمة في جبال زاطروس (٥٠٩٨) متر (١٦٩٩٨ قدم) . ينظر زكي :محمد أمين :خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ، ترجمة :محمد علي عوني ، مطبعة السعادة . مصر ١٩٣٩م ص ٦٢ . ٦٣ .

٢٧ . بضم أولـه مدينـة في ديـار بكـر وكانـت أرومية وخـوي وسلماس من فتوح الموصل.ينظر الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ١/ ٢٦ .

٢٨ . ينظر لويد : آثار بلاد الرافدين (مصدر سابق) ص ٢٨ .

٢٩ . ينظر رشيد عبد الوهاب : حضارة وادي الرافدين (مصدر سابق) ص ٣٣ .

٣٠ . ينظر.د.رشيد ؛ عبدا لوهاب، حضارة وادي الرافدين ص ٣٣ ، وينظر كذلك لويد : المصدر السابق ص ٢٨ ، نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ١ / ٧٣ (إنسان الكهوف والآلات الحجرية ، عبد القادر حسن علي).

٣١ . يقع كهف شانيدر في وادي شانيدر حوالي (٢٢٠٠) قدم فوق سطح البحر في جبال برادوست حيث يصب نهر الزاب قرب محافظة أربيل .ينظر نخبة من الباحثين العراقيين ، مصدر سابق (إنسان الكهوف والآلات الحجرية ، عبد القادر حسن علي) ١ / ٨٣ .

٣٢ . ينظر لويد : المصدر المصدر السابق ص ٣١ . ٣٢.

٣٣ . نسبة إلى جبال : برا دوست .ينظر د. سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين (مصدر سابق) ١ / ١٢٩ .

٣٤ ينظر ج . هاوكس و ل . وولي ، ثلاثة فصول مترجمة من كتاب ما قبل التاريخ وبدايات المدينة ، ترجمة : د. يسري الجوهري ، دار المعارف . مصر (د.ت) ص ٤٠ .٤١ ، لويد : المصدر السابق ص٣٣ .

٣٥ . ينظر كوفان ؛ جاك ، ديانات العصر الحجري الحديث ، ترجمة : د. سلطان محيسن ، ط١ ، مطبعة الشام ١٩٨٨م ص ٩ـ١٠ ، ج. هاوكس و ل . وولي ، أضواء على العصر الحجري الحديث ، ترجمة : د. يسري عبدالرزاق الجوهري ، مكتبة العربية . بيروت (د.ت) ص ٢١ .٢٢ .

٣٦ . عاصمة شمال كوردستان وأكبر مدنها وهي بلاد كبيرة واسعة وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة ومنه حصن كيفا وآمد وميافارقين وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل . ينظر ياقوت : معجم البلدان ٢ / ٤٩٤ .

٣٧ . ينظر د. سوسة ، حضارة وادي الرافدين ١ / ١٠٦ . ١٠٧ ، ميلاد ؛ عبد المجيد ، التقنيات والعلوم (مصدر سابق) ص ٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، لويد : مصدر سابق ص٤٠ . ٤١ .

٣٨ . تسمّى في العصور الأولى قرميسين بالفتح ثم السكون وكسر الميم وياء مثناة من تحت وسين مهملة مكسورة وياء أخرى ساكنة ونون وهو تعريب كرمان شاهان بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون فرسخا قرب الدينور هى مدينة لطيفة فيها مياه جارية و شجر و ثمر و رخص و أبّ و سائمة كثيرة و عيون متدفّقة و خيرات و تجارات . ينظر ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٣٣٠ ، ابن حوقل النصيبي أبي القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي ، صورة الارض ، الناشر: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر. ١٩٩٢م.٢ / ٣٦٠ .

٣٩ . وهي الأحواز تقع في أرض عبادان في شرقي موضع دجلة، وهي بلاد كبيرة وعمل فسيح ينظرالمقدسي : محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق : غازي طليمات،دار النشر : وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق – ١٩٨٠م ، ص ٢٦٩ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٢٢٥، وأورمية سبق أن عرّف بها.

٤٠ . هو : الطين اللزج الأخضر الحر .ينظرالزَّبيدي: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية ١٣ م ٢٤٠ .

٤١ . القِرْمِيد بالكسر: رومي يطلق على الآجُرِّ وعلى ما يطلى به للزينة كالجصّ والزعفران والطيب وغير ذلك . ينظر الفيومي المقري : أحمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير، دراسة و تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية ص ٢٥٨ .

٤٢ . تقع أنقاض هذه القرية على بعد بضعة كيلو مترات شمال مدينة مندلي ، التابعة لمحافظة ديالي . ينظر نخبة من الباحثين العراقيين ، مصدر سابق ١/ ١٣٦(الثورة الزراعية والقرى الأولى ، د . تقي الدباغ) .

٤٣ . ينظر لويد : آثار بلاد وادي الرافدين (مصدر سابق) ص ٤٣ . ٤٤.

٤٤ . تقع قرب ضمضمال بمحافظة كركوك . ينظر د. سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين ١ / ١٣٠ ، نخبة من الباحثين العراقيين ، مصدر سابق ١/ ١٢١ (الثورة الزراعية والقرى الأولى ، د . تقي الدباغ) .

٤٥ . ينظر مطر ؛ سليم ، العراق سبعة آلآف عام من الحياة ٥٦ .

٤٦ . ينظر لويد : المصدر السابق ص ٤٦ .

٤٧ . ينظر نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ١ / ٢٢١ (الكتابة ، د. بهيجة خليل إسماعيل) .

٤٨ . ينظر د. محمود فهمى حجازى ، علم اللغة العربية ،الناشر:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ص ٤٠.

٤٩ . ينظر د.رشيد ؛ عبد الوهاب : حضارة وادي الرافدين ص ٤٤ .

٥٠ . ينظر نخبة من الباحثين العراقيين : حضارة العراق ١ / ٢٢٢ . ٢٢٤ (الكتابة ، د. بهيجة خليل إسماعيل) .

٥١ . و يل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود ، بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨ م ١ / ٢٣٢ .

٥٢ . ينظر د. محمود فهمى حجازى ، علم اللغة العربية ،الناشر:دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ص ١٥١.

٥٣ . ينظر حول السومريين وحضارتهم انظر:

H. schmokel, somer et la civilisation sumeriene, paris 1964, p. 192. biblio theque historique.

٥٤ . ينظرد. محمود فهمى حجازى ، المصدر السابق ص ١٥١.

٥٥ . وهو رأي الخبراء؛ صموئيل كريمر ، هند كوك ، أحمد سوسة ، طه باقر ، أبو صالح الألفي ، ينظرد. سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين ١ / ٣٦٨ .٣٦٩ ،الألفي ؛ أبو صالح : الفن الإسلامي ، دار المعارف . مصر ١٩٧٤م ص ٣٤ ، كريمر؛صموئيل :السومريون ، ترجمة د. فيصل الوائلي ،وكالة المطبوعات . الكويت ١٩٧٣م ، د. رشيد عبد الوهاب :حضارة وادي الرافدين (ميزو بوتاميا) ص ٤٤،٤٦ ، يؤكدّ الخبراء السابقون من أن للغة السومرية هي غير لغة الساميين ولا الآريين ، ولا اللغات المعروفة الأخرى ، إذا فلم يبق إلاّ لغة أخرى كانت موجودة وسائدة في وادي الرافدين وما حولها في تلك الحقبة الزمنية وهي لغة الكورد

، كما يتبين ذلك من كتاب ابن الوحشية والذي سنسلط الضوء عليه في الصفحات الآتية ، ينظرد. سوسة : المصدر السابق ١ /١٩٦ ، ٢٢٩ ، ٣٦٧ .٣٦٩ .

٥٦ . ينظر الموصلي : منذر ، عرب وأكراد ، دار الغصون . بيروت ١٩٨٦م ص ٩٧ ، سعد الله ؛ صلاح ، المسألة الكردية في العراق ،ط١ ، مطبعة مدبولي . القاهرة ٢٠٠٦م ص ٣٥.٥٠ .

٥٧ . لازالت رؤساء العشائر عند الكورد (الشيوخ) يتلقبون بهذا اللقب ! .

٥٨ . كلمة (اينميركار) كلمة كوردية مركبة من : آين ، مير ، كار، لمن يتفحصها ، فآين بمعنى : الدين ، ومير : القائد ، كار : صاحب ، أي القائد الديني .

٥٩ إن من له أدنى معرفة بلغة الكورد يعرف أن كلمة (جلجامش) معرّبة عن الكلمة الكوردية المركبة : طل طامش ، فكلمة : طل بمعنى : الشعب ، وكلمة : طامش بمعني: الجاموس، أي الشعب المعتني بتربية : الجواميس ، ولا نشكّ أن بعض الكورد كانوا في بعض الحقب الزمنية من مربي الجواميس والبقر ، والسومريون من أخص القبائل الكوردية بتربية الجواميس ، وهناك رسوم تعود لحوالي (٤٥٠٠ ق.م) تظهر بشكل واضح إعتناء السومريين بتربية الجواميس بشكل قطعان ، إذ فسبب تسمية الملك ب(جلجامش = طل طامش) جاء من باب تقدير هذا الحيوان الذي كان له الأثر البالغ في حياة السومريين ! ينظر د. سوسة :تاريخ حضارة وادي الرافدين (مصدر سابق) ١ / ٤٠٥ .٤٠٦ .

٦٠ . لم نظفر باسم ملك الكيشيين ،وقد سبق أن عرّفنا بهم .

٦١ . ينظر لويد :آثار بلاد الرافدين (مصدر سابق) ص ١٢٧ . ١٢٨ .

٦٢ . هو أبو بكر أحمد بن علي بن قيس بن المختار المعروف بابن وحشية النبطي والكلداني والكسداني (النبطي) كان عالماً بالفلاحة والكيمياء والسموم والفلك والأقلام القديمة والسحر والحيل وغيرها . ولد في قُسَّين من نواحي الكوفة بالعراق.

مجهول المولد والوفاة ، قدّر وفاته بين سنة (٣١٨ . ٣٥٠ هـ) والراجح بقرائن عدّة أنه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، صاحب كتاب : شَوْق المُسْتَهام في معرفة رموز الأقلام .

ينظر مصادر ترجمته ابن النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ) الفهرست ، المحقق: إبراهيم رمضان، ط٢ ،الناشر: دار المعرفة . بيروت ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ مـ ص ٤٣٩ و ٥٠٤ – ٥٠٥ ، حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، الناشر: مكتبة المثنى – بغداد ١٩٤١م ١ / ٨١ ، ٢ / ١١١٤ ، ١٤٢٤ ،

البغدادي الباباني : إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني(ت ١٣٩٩هـ) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، الناشر: طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م (أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي . بيروت) ١ / ٥٥ ، البخاري القِنَّوجي : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني (ت ١٣٠٧هـ) أبجد العلوم ، ط١ ، الناشر: دار ابن حزم ١٤٢٣ هـ– ٢٠٠٢ م ص٤٤٠ ، سركيس : يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـ) معجم المطبوعات العربية والمعربة الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ – ١٩٢٨ م ١ / ٢٨١ ، هارون :

عبد السلام محمد هارون (ت ١٤٠٨هـ)نوادر المخطوطات ،ط ٢ ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ١ / ٢٢٤ .

٦٣ . عَدُّ كتابُ ابن وحشية (شَوْق المُسْتَهام في معرفة رموز الأقلام) أشهرَ ما انتهى إلينا من كتب الأقلام وأقدمها ، طبعة المستشرق النمساوي جوزيف همّر التي صدرت في لندن سنة (١٨٠٦م) وهي تعدّ أقدم طبعة للكتاب، في (١٣٦ ص) ، وترجمته إلى الإنكليزية في (٥٤ ص) .

وقد نص المستشرق همّر في مقدمته للطبعة على أنه وجد نسخة الأصل المعتمدة في القاهرة ، وتحتفظ بأصل هذه النسخة مكتبةُ المتحف البريطاني تحت رقم ٤٤٠ . (37) H.173.وتعدّ هذه الطبعة عزيزة نادرة الوجود لقدمها وأهميتها ، إذ لا تكاد تقع على نسخة مطبوعة منها إلا في قليل من المكتبات العريقة ، منها نسخة في مكتبة المتحف الوطني بدمشق (دار الآثار العربية).

٦٤ . ينظر ابن الوحشية النبطي : شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام ، تحقيق : جمال جمعة ، منشورات الجمل . بيروت ، بغداد ٢٠١٠م ص ٢٠٣ .٢٠٤ .

٦٥ . ينظر ابن الوحشية النبطي : شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام ، تحقيق : إياد خالد الطباع ، دار الفكر . دمشق ٢٠٠٨م ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٥ .

٦٦ . ينظر ابن الوحشية النبطي : المصدر نفسه ص ١٣٠ .

٦٧ . وسُمّيت بالمسمارية لأن رموزها تتألف من مجموعة أشكال ، تتألف كل واحدة منها من تركيب معين لشكل مسمار، وكان الشعب السومري والشعب العيلامي يستعملان الكتابة المسمارية .ينظر د. سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين ١ / ٣٦٩ .

٦٨ . ينظر :كتاب شَوْق المُسْتَهام في معرفة رموز الأقلام (مصدر سابق ، تحقيق إياد الطباع) ص ١٣٥ .

٦٩ . جمعه: نواويس ،حجر منقور ، أو صندوق من خشب ، تجعل فيه جثة الميت. ينظر المختار : د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) معجم اللغة العربية المعاصرة ، ط١ ، الناشر: عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م ٣ / ٢٣٠٥ (٥٢٧٥ - ن و س) .

٧٠ . ينظر ابن الوحشية :المصدر السابق ص ١٣٥ .

٧١ . ول ديورانت: قصة الحضارة ١ / ٣.

٧٢ . ينظر ابن الوحشية : كتاب شَوْق المُسْتَهام في معرفة رموز الأقلام(مصدر سابق ، تحقيق إياد الطباع)ص ٩٣ .

٧٣ . ينظر ابن الوحشية : المصدر نفسه ص ١٣٥ .

٧٤ . ينظر ابن الوحشية : المصدر نفسه ص ٩٣ .

٧٥ . ذكرنا أن كتاب ابن الوحشية قد أشار إلى ذلك ، حيث أن خبراء وعلماء الكورد حين ألفوا عددا من البحوث والكتب قبل الإسلام في البحث عن علل المياه واستخراجها من باطن الأرض ومعرفة الأماكن التي توجد فيها المياه لخير دليل أن هناك قبائل من الكورد كانوا يسكنون تلك المناطق ، وإلاّ لم يبحثون عن استخراج المياه من باطن الأرض ومعرفة أماكن تواجدها ،إذ بلادهم الجبلية مليئة في ذلك اليوم وإلى يومنا هذا بالينابيع والأفلاج والأنهار والجداول ، ومما يؤيدّ هذه النظرية ، اهتمامهم الكبير بزراعة النخيل ! إذ من المعروف أن النخيل لا توجد في المناطق الجبلية التي يسكنها الكورد ، كما يؤييد هذه النظرية أن بني (

جاوان) وهي إحدى القبائل الكردية الكبرى كانوا يسكنون مدينة حلّة الحالية منذ مئات من السنين وكانوا مع قبيلة بني أسد يتقاسمون الحلّة وما حولها من البقاع .

ينظرابن مسكويه : أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت ٤٢١هـ) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، المحقق: أبو القاسم إمامي،ط٢ ،الناشر: سروش، طهران، ٢٠٠٠ م ٧ / ٤٨٨ ،

ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١ ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ٨ / ١٨٤ ، السيوطي : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) لب اللباب في تحرير الأنساب ، الناشر: دار صادر – بيروت ص ٥٩ .

٧٦ . ينظر ابن الوحشية : شَوْق المُسْتَهام (مصدر سابق) ص ١٣٥ .

٧٧ . ينظر على سبيل المثال سورة إبراهيم : آية ٤ ، وسورة فاطر : آية ٢٤ .

الملاحق :

صور من صفحات مخطوطة (شَوقُ المُستَهام في مَعرفةِ رُمُوزِ الأقلام) لابن الوحشية.

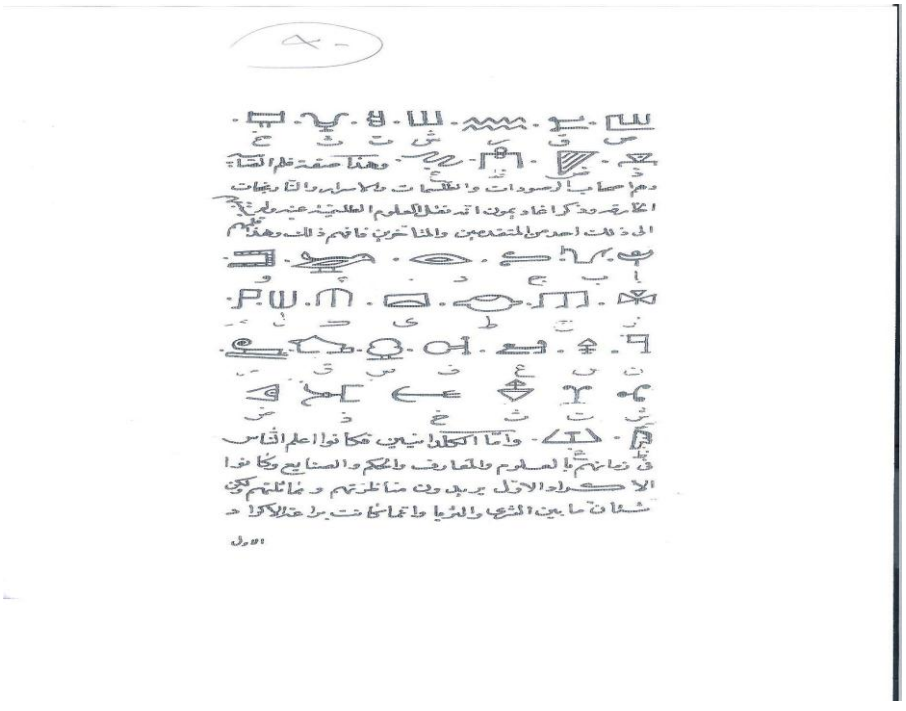

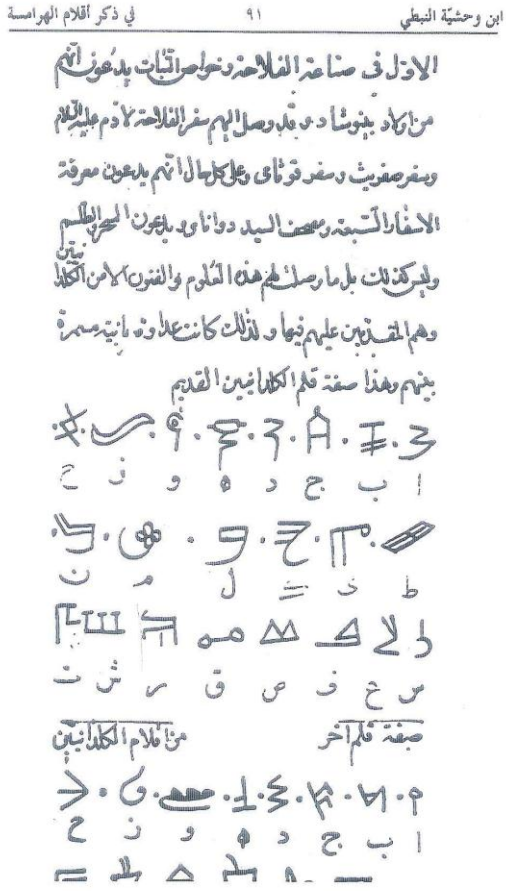
ابن وحشية النبطي ٩١ في ذكر أقلام الهرامسة

الاول في صناعة الفلاحة وخواصها اثبات يدعون انهم
من اولاد بنوشاد وقد وصل اليهم سفر الفلاحة لآدم عليه السلام
وسفر صفريث وسفر قوثاى وعلى كل حال انهم يدعون معرفة
الاسفار المنسوبة لصحف السيد دوانا وهو يدعون السحر الطلسم
ويشركذلك بل ما وصل لهم هذا العلوم والفنون الا من الكلدانيين
وهم المقدمين عليهم فيها ولذلك كانت عادتهم انهم يسمون
بينهم وهذا صفة قلم الكلدانيين القديم

ا ب ج د ه و ز ح
ط ى ك ل م ن
س ع ف ص ق ر ش ت

صفة قلم اخر من اقلام الكلدانيين

ا ب ج د ه و ز ح

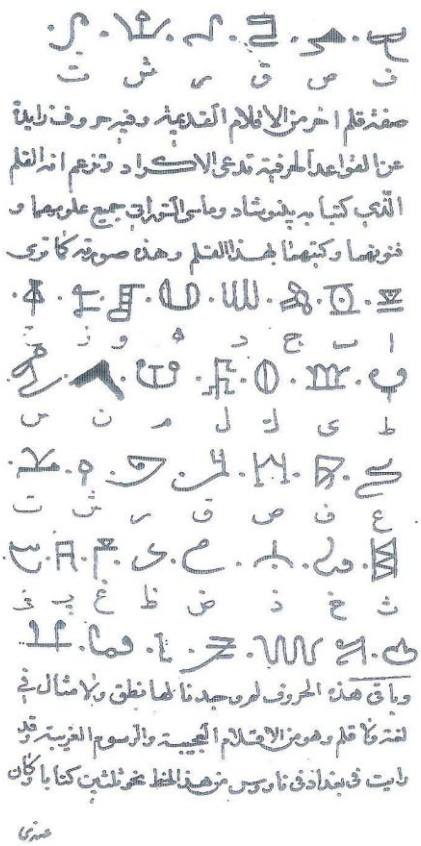

صفة قلم اخر من الاقلام القديمة وفيه حروف زايدة
عن القواعد المعرفة تدعى الاكراد وتزعم انه القلم
الذي كتب به پنوشاد وماسي التراث جمع علومهما و
فنونهما وكتبهما بهذا القلم وهذه صورته كما ترى

وباقي هذه الحروف لم نجد لها نطق ولا مثال في
لغة ولا قلم وهو من الاقلام العجيبة والرسوم الغريبة قد
رايت في بغداد في نامرس من هذا الخط نحو ثلثين كتابا كان

صفحة

عندى منها بالشام كتابين كتاب فى اقلاع الكرم والنخل
وكتاب فى علل المياه وكيفية استخراجها واستنباطها من
الاراضى المجهولة الاصل فنرجمتها من لسان الاكراد الى اللسان
العربى لينتفع به ابناء البشر وكنت قبل ذلك هذا لم تمته
فلما يسر الله لى اتمامه فى احدى وعشرين سلخا جاء بحمد الله وعونه
فى المراد والمقصود بعون الرب المعبود وجعلته ذخيرة لخزانة
حضرة امير المومنين عبد الملك بن مروان متعه بسعادة
دولته واقام عماد الدين بشوكة ملكه وسلطانه يوم الجمعة
المبارك ثالث شهر رمضان سنة احدى واربعين ومايتين وبحمد الله
فرغ من كتابة النسخة المكتوبة من الاصل المذكور حسن بن فرج بن عبد
بن داود بن سنان بن ثابت بن قره الحراني الصابي الموقاني يوم
الثلاثاء المبارك سابع ربيع الاخر سنة اربعمائة وثلاثة عشر وقد
تمت النسخة المنقولة هذه النسخة عنها يوم الاحد المبارك ثانى
عشر المحرم من شهور سنة ستة وستين وستمائة والف ١١٦٦
وكان الفراغ من نساخته يوم الجمعة المبارك عاشر شهر جمادى الاخر
سنة ستة وستين وستمائة والف ١١٦٦ الموافق فى شهر نيسان
من شهور سريجية سنة ١٢٥٣ وهو كتاب شوق المستهام فى معرفة
رموز الاقلام تاليف احمد بن ابى بكر بن وحشية النبطى الكلدانى والحمد لله وحده